

فقه العبادات - مالكي

3 - أن يرتفع بها الحرج لقوله تعالى : { وما جعل عليكم في الدين من حرج } (1) .
وهكذا نرى أن مالكا B قد بلغ من علم السنة الذروة ومن الفقه درجة صار فيها فقيه
الحجاز الأوحى حتى إن حماد بن زيد كان يقول لرجل جاءه في مسألة اختلف فيها الناس : " يا
[ص 17] أخي إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة وأصغ إلى قوله فإنه حجة بين الناس
" .

وقد نال مالك B من ثناء العلماء حظا وافرا فقال في حقه الإمام أبو حنيفة B : " ما
رأيت أسرع منه بجواب ونقد تام " .
وشهد له بالفضل أبو يوسف فكان يقول فيه : " ما رأيت أعلم من ثلاثة : مالك وابن أبي
ليلى وأبي حنيفة " إذ كان الأخيران شيخيه فوضع مالك في مرتبتهما .
وقال في شأنه تلميذه الإمام الشافعي B : " مالك حجة الله على خلقه بعد التابعين ومالك
أستاذي وعنه أخذت العلم ومالك معلمي وما أحد أمن علي من مالك وجعلته حجة فيما بيني
وبين الله " .
وقال فيه أيضا : " إذا ذكر العلماء فمالك النجم " وكذلك قال فيه : " إذا جاءك الحديث
عن مالك فشد يدك عليه " .

وقال الإمام أحمد بن حنبل فيه : " مالك سيد من سادات أهل العلم وهو إمام في الحديث
والفقه ومن مثل مالك ؟ متبع لآثار من مضى مع عقل وأدب " .
وقد تأول التابعون وتابعو التابعين في الإمام مالك B بأنه العالم الذي بشر به رسول
الله ﷺ في الحديث الشريف : (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا
أعلم من عالم المدينة) (2) .

وأخرج ابن عبد البر وغيره عن مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه قال : .
كنت جالسا بمسجد رسول الله ﷺ مع مالك فجاء رجل فقال : أيكم أبو عبد الله مالك ؟ فقالوا :
هذا فجاء فسلم عليه واعتنقه وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره وقال : والله لقد رأيت
البارحة رسول الله ﷺ جالسا في هذا الموضع فقال : هاتوا مالكا فأتي بك ترعد فرائصك فقال :
ليس عليك بأس يا أبا عبد الله وكناك وقال : اجلس فجلست فقال : افتح حجرك ففتحت فملأه مسكا
منثورا وقال : ضمه إليك وبثه في أمتي فبكى مالك طويلا وقال : الرؤيا تسر ولا تغر وإن
صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله .

لذلك لا نعجب إذا علمنا أن الناس كان يشدون الرحال إليه من جميع البلاد الإسلامية

ويزدحمون على بابه طلبا للعلم .

وشهدت القرون بفضلها ومكانته وبأن فقهه يجمع عناصر العالمية والتقدم ففي المغرب مثلا [ص 18] كانت حياته وما فيها من ملامح قوية موضع الأسوة والقدوة فدرسوها في مدارسهم صغارا وكانت المثل الأعلى لهم كبارا . وبفقهه ساس المغرب خلفاؤه وحكم قضاته وبهديه دعا مرشدوه فكان مالك - هـ - للمغرب المظهر الكامل للإسلام عروبة ودينا .

وقد تهيأت الأسباب ليكون الإمام مالك بهذا القدر من العلم : فمواهبه وصفاته الشخصية و
شيوخه ودراساته وعصره وبيئته كل هذا هيا له أسباب العلم فاغترف من بحاره . ولنذكر في
كل واحد من هذه الأسباب كلمة تكشفه وتجليه : .

(1) الحج : 78 .

(2) الترمذي : ج 5 / كتاب العلم باب 18 / 2680